دراسة مختصرة في تعدد الزوجات

تأليف

زهير آميدي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من يبحث عن رأي فقهي مجرد في موضوع تعدد الزوجات لا يجد مبتغاه في هذه الدراسة المختصرة فللافتاء والفقه رجالاته وعلماؤه ومناهجه ومدارسه.

وما أمتلك من علم لا يؤهلني أن أحوم حول حمى الافتاء حتى. ولكني أردت أن أتطرق للموضوع من منظور أخلاقي اجتماعي اسلامي والخوض في تداعياته على فئات المجتمع المسلم رجالا ونساء وحسب طبيعة تفكيرهم وقربهم وبعدهم عن منهج الله.

وحاولت أن أغور في أعماق نفس الأطراف التي قدر الله لها أن تمتحن في دينها وأخلاقها وسلوكها فشملها التعدد . . أقصد الزوج والزوجة الأولى والزوجة الثانية.

كيف يفكر كل طرف ؟؟

كيف ينظر الى الموضوع رفضا أو قبولا مطلقا . . أو قبولا على مضض . . أو قبولا مشروطا؟؟

وحاولت على قدر ما امتلك من معلومات وافكار أن ابحث بعض الحالات السلبية المقترنة بالتعدد في بعض مجتمعاتنا الاسلامية ثم استخلص بعض الرؤى والأفكار في النهاية.

وأرجوأن اكون وفقت في اضافة فهم بسيط جديد حول الموضوع والقصد والمبتغى انشاء الله هو الوصول الى مجتمع نظيف عفيف محصن بالخلق الحسن والتعامل الراقي بيننا كافراد وفي بيوتنا وداخل أسرنا وفي مجتمعاتنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه وسلم

زهير آميدي

آذار - ٢٠٠٥

رأي المجتمع في التعدد

نصف المجتمع تقريباً لا يقر التعدد.

كل النساء - وهنَّ نصف المجتمع- ينفرنَ من هذا الموضوع بشكلٍ أو بآخر.

فالمرأة المطبوعة طباعها والمبهورة بأخلاقيات وسلوك المجتمع الغربي لا تقرُّ ذلك اطلاقا وتعتبره انتقاصاً في حق المرأة وتجاوزا على شخصيتها المعنوية والاعتبارية.

والمرأة المتأرجحة الايمان صعوداً وهبوطاً والسطحية التفكير في معتقداتها وفي كل أمور الحياة لا تقره أيضاً وهي ترضى لزوجها الوقوع في المعصية ولكن لا ترضى له الزواج بامرأة أخرى وإن رضيت رضيت مكرهة ومرغمة ويكون سلوكها ورد فعلها سلبياً في الغالب.

وحتى المرأة التي تتظاهر بالقبول الكلي وتسعى هي لاختيار الزوجة الثانية لزوجها فهي في باطنها تعيش صراعا عنيفا تحاول كبته وتدثيره بشتى الوسائل، وقد ينفجر في أي حين قبل أو بعد الزواج.

أما المرأة العارفة لربها وتخشى الله في دينها فإنها في موقفٍ صعب.

فهي بفطرتها كأنثى تنفر منه ولا تريده لنفسها أو أقرب المقربين إليها ولكنها وبحكم إيمانها لا تستطيع أن تنكره وتجرده من فسحة المشروعية التي أقرها الله في كتابه وسنة الرسول (ﷺ) في سنته الشريفة. ولكنها في نفس الوقت تضعُ من القيود والشروط ما يجعل من تطبيقه أمراً صعبَ المنال.

وفي الحقيقة أن المشكلة عند عموم النساء ليس العدل، حتى إذا كان مطلقاً وحتى إذا كان الرجل تقياً وورعاً، فإن إفرازات الحالات السلبية الكثيرة للتعدد والضغط الاجتماعي الذي ينكر في أغلبيته هذا الأمر هو الذي يشكل الهاجس الأكبر عند المرأة إلى جوار غيرة الأنثى التي فطرت عليها.

وردَّة الفعل عند المرأة يتعاظم ويتناقص فيكون مدمراً في بعض الأحيان ورضاً وقبولاً بالأمر الواقع - مع الإبقاء على رفضه واستهجانه داخلياً - حيناً آخر ويتأثر أيضاً حسب وضع المرأة الاجتماعي ومستواها الثقافي وبين مجتمع المدينة والريف.

ولكن، حتى المرأة التي ترضى أن تكون الزوجة الثانية لا يمكنها أن تتخلص من غيرتها كأنثى وتتمنى أن تجد نفسها يوما السيدة الوحيدة التي تمتلك قلب زوجها.

أما النصف الآخر من المجتمع وهم الرجال فهم منقسمون في رأيهم أيضا بشأن التعدد.

فاللادينيون والمبهورون بثقافة الغرب لا يقرون هذا المبدأ ويرون في هذا التشريع اجحافاً بحق المرأة التي يجب أن تتساوى مع الرجل في كل شيء.

تماماً كما يطعنون في موضوع الميراث وشهادة المرأة ومن دون ان يتعمقوا في موضوع حقوق المرأة في الاسلام في إطاره العام الشامل.

وهم ينسون أو يتناسون أن التشريع كل شامل ولا يمكن توجيه النقد والطعن في جزئية واحدة خارج الإطار العام لأن ذلك يفقده مصداقية النقد ويدخله في إطار الطعن لمجرد الطعن، وأيضا من دون التمييز بين التشريع والتطبيق.

هذه الفئة ترضى أن تكون المرأة سلعة رخيصة على قارعة الطرق وعلى صفحات المجلات اوإعلانات التلفاز بل تكاد تتفق مع الكثيرين ممن ينادون بزواج المثليين باعتبار أن الموضوع يدخل ضمن إطار الحرية الشخصية.

وهذه الفئة مبهورة بالتقدم العلمي والتقني في الغرب واحترام الحقوق المدنية فيها وأنظمة حكمها التي تحارب التسلط المطلق وتحارب الفساد الإداري في ظاهره المعلن على الأقل.

وترى نقيض ذلك في المجتمعات الاسلامية من تخلف علمي وتقني وعدم وجود آلية وبرامج لتطويرها. وترى حكاماً فاسدين متسلطين ومجتمعات مقهورة مغلوبة على أمرها وأنظمة حكم شمولية قمعية لا وجود لحقوق المجتمع المدني في قواميسها ودساتيرها وفساداً ادارياً بغيضاً وضياعاً لثروات الشعوب في جيوب

الحكام والمنتفعين.

ولأن هذه المجتمعات هي مجتمعات إسلامية بالمعنى المجرد للكلمة وبما ان تلك الفئة ترى أن سبب تقدم المجتمعات الغربية هي في ابتعادها عن الدين وتركه في زوايا الكنائس ودور العبادة لمن شاء أن يتعبد. وبالنتيجة ترى أن سبب تخلف مجتمعاتنا هو الدين أيضاً فلا بد من انتهاج المنهج الذي سار عليه الغرب مع الدين وإلا فلن تقوم لمجتمعاتنا قائمة وهي بذلك لا تفرق بين المنهج الرباني الشامل في الرسالة الخاتمة وبين الأديان الأخرى التي وصل التحريف والتشويه الى أصل العقيدة فيها.

ترى هذه الفئة أيضا أن تتبع خطوات تلك المجتمعات في مراحل تطورها وفي كل ميادين الحياة حتى التي يتعلق منها بالقضايا الاجتماعية خطوة بخطوة - حتى إذا كانوا دخلوا جحر ضب دخلناه مثلهم - هوالطريق الأقرب للوصول إلى مجتمع متحضر يمتلك ناصية التقدم العلمي والفكري والسياسي.

هذه الفئة على حق في كثير مما ذهبت إليه في وجوب تغيير جذري في حياة مجتمعاتنا وإلا فإننا سنبقى في عتمة التخلف وفي نفق لا نهاية له.

ولكن خطأ هذه الفئة هو أنها تُحمِّل المنهج الإسلامي وزر الحكام ووزر الفوضى الفكرية والعقائدية والاجتماعية التي تعصف بالمجتمعات الإسلامية.

وهي تتنكر للنظام الاجتماعي والأخلاقي للإسلام في صورته النقية التي رسمها القرآن الكريم وأوجدها النبي (ﷺ) تطبيقاً وواقعاً في حياته وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده وهي صورة لايمكن الوصول إليها بأي منهج وضعي بديل.

وثمة حقيقة تغيب عن فكر هذه الفئة وهي أن امتلاكنا لناصية العلم والتقدم التقني في أرقى وأبهى صورها لا يتعارض ولا يتقاطع البتة مع النظام الاجتماعي الإسلامي المتين والمتماسك.

فهو في الوقت الذي يلبي احتياجات الفرد واستقلاليته في ماله ونفسه وفكره فانه يؤسس لجملة من العلاقات والسلوكيات بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأقارب والجيران والمجتمع ككل وبين الغني والفقير والحاكم والمحكوم وبين

الإنسان وأخيه الإنسان بل حتى بين الإنسان والحيوان.

وهو يحرض في الوقت نفسه الأفراد والمجتمع على حد سواء على التعلم والتدبر وصولاً إلى الاستفادة من كل ما بثه الله في هذا الكون وتسخيره من أجل رقي الإنسان وتطوره.

الفئة الغالبة -من حيث الكثرة - في مجتمعاتنا هي التي تسير بلا منهج واضح في الحياة.

تجمع بين التوق إلى حياة الغرب في نظم حياتها وفي مناهجها حتى الفاسد منها أحياناً، وبين التشبث الأحمق ببقايا من التقاليد الجاهلية والقبلية البعيدة كل البعد عن المنهج الإسلامي الصحيح وبين عقائد إسلامية في صورة باهتة تحتاج إلى الكثير من الصقل لتعود إلى رونقها وأصالتها.

وعناصر من هذه الفئة يسهل اصطيادها من قبل أوكار التطرف الفكري الغارقة في الضلالة والظلامة أو من أقصى اليسار الملحد الذي ينكر وجود خالق للكون أصلاً، أو تتيه بين عقائد وسلوكيات المنهجين الأخرقين صعوداً ونزولاً في سلم ودرجات من التحلل من القيم الاجتماعية أو التشبث بها وفي النفاق السياسي والاجتماعي حسب مصالحها وهواها. وفي تقربها من الله وعباداتها حسب المواسم أو الظرف الذي تمر به.

ما يهمنا من أمر هذه الفئة هنا هو رأيها في موضوع التعدد فقط. والذي نراه أيضاً لا يستند إلى رأي شرعي محدد أو حالة اجتماعية بعينها إنما يتذبذب بين قبوله كما هودون الغوص في تفاصيله أو الظلم الذي قد ينجم عنه في الكثير من الحالات. أو رفضه لسبب موقف اجتماعي أو شخصي ودون الخوض في الموجب الشرعي اوالاجتماعي أو الشخصي للحالة المبحوثة عنها.

ومن يلجأ منهم الى التعدد فانما يفعل بدافع الغريزة السمجة ليس الا ولا يجعل من العدل معياره أو ميزانه مطلقا لأنه قد لا يكون عادلا أصلا مع زوجته الأولى وأولاده أو مع أبويه واخوته.

وحتى لا نرسم صورة قاتمة عن هذه الفئة الغالبة في مجتمعاتنا لا بد من التنويه أنه بين هذا المد والجزر الكثير من الصور المشرقة التي تتلمس خطاها

نحومنهج الله، تتعثر أحيانا نعم، تتوقف أحيانا أخرى نعم، ولكن لا تزال في قلوبهم رواسب ايمانية يمكن البناء عليها.

وعلى مفكري الأمة ودعاتها أن يأخذوا بيد هؤلاء لأنهم سيشكلون النواة الصالحة لمجتمع متراص متماسك البنيان تسوده القيم والأخلاق النبيلة التي أقرها الله لعباده في كل رسائله السماوية.

ويكون بمقدور المجتمع حينئذٍ التأسيس لنهضة فكرية وعلمية شاملة تنفض بها الأمة عن جسدها الغبار المتراكم عليها منذ عقود طويلة وتحتل مكانها الصحيح بين الأمم في البدء ولتأخذ الريادة بعد ذلك بمنهجها الفكري القويم الذي يحقق للانسان ما ارتضاه الله بأن كرمه وجعله سيد هذا الكون ليعيش حراً في نفسه وماله ومعتقده في الإطار الذي لا تنتقص هذه الحرية الشخصية من حريات الآخرين أو تضرُّ بمصالحهم أو مصالح المجتمع.

الفئة الثالثة هي التي تعرف شرع الله ومنهجه في الأمور كلها ولكن في تطبيقاتها العملية قد لا تسير على خطى السلف الصالح وبنفس المنهجية التي يكون الهدف فيها هورضوان الله، والوسيلة والآلية هي كل الأدوات الشرعية المتاحة التي تأخذ من مخافة الله مقياساً للتحرك وتتجنب الإضرار بأي فرد وتنأى عن التأثير السلبي في المجتمع نفسه، ودون أن تكون هذه الآلية معوقة للعزيمة والطموح المشروع.

وفيما يخص موضوع التعدد فإنها تعرف حدود الله والضوابط الشرعية المرتبطة بهذه القضية ولكن في التعامل المباشر سواءاً كانت هي المعنية بالأمر أو استفتيت واستشيرت في مسألة تخص التعدد فانها في الكثير من الأحيان تبقى أسيرة لموروثاتها الشخصية أو تتأثر بالأثر السلبي أو الإيجابي لنظرة المجتمع من حوله، أو تعطي رأياً فقهياً مجرداً ومعزولاً عن حيثيات الواقعة ودون نصح وإرشاد حتى.

وموضوع التعدد لا يمكن النظر فيه أو الحكم عليه في إطاره الشرعي المجرد وبمعزل عن التطبيق العملي ومحيطه الاجتماعي لكي يتم التعامل بشكل إنساني مع كل حالة.

وإما أكون غير مطلع على الأدبيات والكتب الحديثة التي تبحث هذه القضية وإلا فإنني أجد إهمالاً من قبل باحثينا ومفكرينا وعلمائنا في هذا الموضوع. فلم أجد دراسة معمقة تأخذ الجانب الشرعي من الموضوع وتربطه بالجانب الاجتماعي ليس من باب وضع قوالب جاهزة للتطبيق لأن ذلك غير ممكن من الناحية العملية.

فما دام الكلام عن الزواج وسواء كان الأول أو الثاني فان المعيار الأخلاقي الفردي والسلوك الشخصي يكون له الدور الأكبر.

إلا أن إبراز الجانب الانساني الراقي للتعامل في هذه القضية في الحالات الفردية والهدف من اللجوء إلى التعدد وكيفية التعامل عند التطبيق وموقف الشرع والمجتمع مع حالات مختلفة هوأمر مطلوب وملح.

وإلا فإنّ الموضوع يتم تناوله بشكل فردي مزاجي ويقع الحيف في معظم الحالات على الزوجة الأولى أو الثانية أو عليهما معاً مع أولادهما وأي تأثير سلبي محبط يقع على مجموعة من الأفراد فإنّ تأثيره يرتد سلباً في محيط أولئكَ الأفراد وفي مجتمعهم في النهاية.

رصد لحالات سلبية في بعض المجتمعات الاسلامية

المثال الأول

في بعض البلدان الإسلامية يلجأ الرجال إلى التعدد للهروب من التزامات شرعية تخص الزوجة والأولاد فحين يجد الرجل منهم نفسه غير قادر على الإيفاء بالتزاماته المالية من توفير المأوى والطعام والملبس لأهله ويسد عنهم تكاليف المعيشة الأخرى في أدنى صورها فإنه يهجر اسرته وتصبح زوجته معلقة غير مطلقة.

وهذا مخالف لنص وجوهر حكم قرآني مبين بهذا الصدد:

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩].

وفي الحقيقة إنه يلجأ إلى التعدد ليتحاشى الطلاق وما ينجم عنه من حقوق والتزامات شرعية أي أنه يتحدى حكم الله في تحد واضح وتصميم مبيت في كلا المسالتين. الاضرار بالزوجة بالهجر وعدم التطليق وعدم العدل عند التعدد.

ويحرص أن يتزوج بامرأة أخرى تكون في وضع مادي مريح، ولا تجد الزوجة الأولى من تلجأ اليه فالمجتمع مجتمع ذكوري يقر للرجل ما لا يقرهُ للمرأة وليس بمقدور هذه المسكينة أن تلجأ إلى المحاكم حتى تطالب بحقوقها وحقوق أولادها من النفقة لأنها غير مطلقة أساساً حتى تنظر المحاكم في موضوعها.

تجد هذه المرأة نفسها مع أولادها على قارعة الطريق لا تملك من حطام الدنيا شيئاً وتكون هي وأولادها هدفاً سهلاً لعصابات التسول أو البغاء أو

الجريمة والمخدرات.

وبينما يكون الزوج الأحمق في كنف زوجة أخرى تكون زوجته الأولى وأولاده منها - المكلف شرعاً وقانوناً وعرفاً بكفالتهم - واقعون أما في ضنك العيش أو في أحضان التسول والرذيلة.

كل هذا والمجتمع ينظر إلى هذه المعاناة كشيطانٍ أخرس.

بل إنّ المجتمع يصبُّ جام غضبه ويحاسب هذه المرأة المسكينة ويحاسب أولادها إذا ما زلت بهم قدم. ويترك من أجرم بحقهم أصلاً بتركهِ ذرية ضعافاً لا يزال يكسوهم الزغب في وجه رياحٍ عاصفة وأمواجٍ عاتية.

أليس الحقُ كلَّ الحق أن يرجم هذا الرجل أو ينفى في الأرض أو تقطع أيديه وأرجله من خلاف لسوء فعلته وعظم جرمه؟؟

(وهذا تعبير مجازي لقبح جرمه وليس حدا شرعيا لفعلته).

إنّ هذا الرجل يمتطي مطية التعدد للعبور إلى فعله الآسن وجرمه القبيح وما يفعله ليس من الدين والشرع في شيء، والمجتمع الذي يسكت عن هكذا أفعال لا بد أن يكون آيلا للسقوط سرعان ما يتهاوى ويتشرذم وتعصف به رياح الجهل والتخلف والاستبداد.

وإذا ما التقطت منظمة لحقوق الإنسان من داخل هذا البلد أو من خارجه هذه الحالات الإنسانية الحالكة في السواد فتحاول الدفاع عن حقوق هذه الفئات المسحوقة - لهدف نبيل أو غرض سياسي خبيث - أو عندما تحاول السلطات التشريعية إصدار تشريعات ترفع هذا الحيف عن المرأة.

ترتفع عندها أصوات الرجال يستصرخون علماء الأمة وضميرها في تخوم المشرق والمغرب للتصدي لهذه التشريعات المناهضة لمنهج الإسلام وكأن الأوضاع السائدة والممارسات الموغلة في الظلم والاستبداد التي كانت تعصف بالمرأة وبالأسر كانت من صميم المنهج الرباني.

المنهج الرباني عندما ترك فسحة المشروعية للتعدد كان الهدف منه تقوية المجتمع وليس انحلاله وتقويم الأخلاق والسلوك وليس انفلاتهما. وتوفير الفرصة لتكوين أسرة لكل امرأة مات عنها أو طلقها زوجها أو ممن ينتظرن

فرصتهن في الزواج ولمن تريد ذلك اختياراً وبعد أن يوفر الرجل كل المقومات الأساسية للمحافظة على أسرته الأولى والتصدي لمتطلبات الأسرة الجديدة وبإقامة العدل المطلق في صورته المادية ومراعاة الجانب الحسي حتى يصل إلى درجات عليا من الرقي الإنساني والأخلاقي في التعامل.

المثال الثاني

في مجتمع إسلامي آخر لا يعتبر الزنا جريمة يعاقب عليها القانون بينما يعتبر التعدد جريمة تستوجب العقاب ويكون عقد الزواج الثاني وكل ما ينجم عنه باطلاً بموجب ذلك.

ويتم إبرام عقود الزواج في أقسام البلديات لكل مدينة أو حي ولا يسمح باجراء أي عقد خارج سلطة البلدية.

والرجل الذي يريد التعدد يلجأ إلى إجراء العقد خارج هذه السلطة ويكون عقداً غير رسمي ولا يؤخذ به في تثبيت حقوق الزوجة الثانية. وإذا ولد لها ولد يقوم الأب بتسجيله باسم الزوجة الأولى بأنها الأم الحقيقية له، أي أن الزوجة الثانية ليست موجودة في السجلات الرسمية الأسرية للرجل.

وفي حالة الطلاق أو موت الرجل فان الزوجة الثانية لن تكون لها أية حقوق قانونية في تركة الرجل، ويترك أمر حصولها على حقوقها الشرعية لضمير الرجل في حالة الطلاق ولضمير زوجته الأولى وأولادها في حالة الوفاة - إذا لم يترك الرجل وصية قانونية خاصة يعطيها بعض الحقوق خارج اطار الزوجية قبل الوفاة - وفي معظم الحالات يقع الحيف والظلم على المرأة بسبب قانون وضعي لم يراعي خصوصية التشريع الإسلامي في هكذا حالات.

وحتى إذا كانت الزوجة الأولى عقيمة أو بها مرض عضال يمنعها من القيام بمتطلبات الزوجية فإنّ هذا القانون يسمح له بالطلاق وما في ذلك من اجحاف بحق المرأة في كلا الحالتين لأنها قد لا ترغب في الطلاق وتفضل أن يتزوج عليها زوجها بدل أن تجد نفسها بدون زوج وأسرة أو معيل.

ويسمح له بالعلاقات الزوجية كيفما يشاء خارج إطار الزوجية بينما لا يسمح له بالتعدد حتى في حالة العدل المطلق على وجه الافتراض.

فأي منهج يصون أخلاقيات المجتمع وكرامة المرأة وحقوقها؟؟

المنهج الرباني الذي فيه فسحة من مشروعية التعدد أو المنهج الوضعي الذي يمنع التعدد ويترك الباب مفتوحاً للعلاقات الجنسية خارج مخدع الزوجية لكلا الطرفين أو يستسهل الطلاق وما ينجم عنه من تفريط بمشاعر المرأة ومشاعر الأولاد ومن تأثير سلبي على تنشأتهم خارج حضن الأسرة الأصلية.

في المثال الأول استغلال سيىء للتعدد تضيع بمقتضاه حقوق الزوجة الأولى وحقوق أولادها وفي المثال الثاني تشريع مقيد للتعدد تسبب في ضياع حقوق الزوجة الثانية أو يتسبب في طلاق الأولى.

أي أن المرأة في كلا الحالتين هي المظلومة.

المثال الثالث

نظرة معظم المجتمعات الإسلامية للتعدد في الكثير من البلدان نظرة سلبية.

فهي تستهجن التعدد وتوصف الزوجة الثانية بأقسى الصفات فتوصف بسارقة الرجال أحياناً، وبالمرأة الشهوانية التي لم تقدر أن تلجم عقال شهوتها أحياناً أخرى، وينظر إليها في الكثير من الأحيان نظرة دونية.

بينما الزوجة الأولى إما تكون مصدرا للإشفاق من محبيها أو للشماتة والتشفي من مبغضيها ويتم تأليب الأولى على الثانية وتحريض الثانية على الأولى حتى تصبح حياة الاثنتين جحيماً.

وهنا أيضاً يقع الضرر الأكبر على الزوجة (الأولى والثانية) أولاً ومن خلالهما على الزوج وبسبب الزوجين معاً على الأولاد.

والكثير من هذه المجتمعات تستسهل وجود علاقات للرجل خارج إطار الزوجية في الوقت الذي تحرمها على المرأة ومن تضبط منهن بأن لها علاقة مشبوهة وسواء كانت متزوجة أولا فان الزوج أو عائلة المرأة تقوم بقتلها فيما تسمى بعمليات غسل العار بينما يكون الرجل طليقاً لا تطاله الأيدي في الغالب، مع العلم أن الكثير من هذه الجرائم تحدث لمجرد شبهة أو علاقة بسيطة لا تستوجب إقامة الحد الشرعي حتى.

المثال الرابع

غالبية التطبيقات الموجودة في مجتمعاتنا هي تطبيقات عرجاء أي يقع فيها الظلم والحيف على أحد الأطراف أما الزوجة الأولى أو الثانية أو الزوج، وأي حيف يقع على هذه الأطراف الثلاثة يكون الحيف والظلم واقعاً بالنتيجة على الأولاد.

وقلما توجد أمثلة يمكن الاقتداء بها، والكثير من التجارب التي قد تبدوا في ظاهرها نماذج مثالية فإنك لواستدرجت أحد الأطراف فيها فان الكثير من التشويه سيصيب الصورة المثالية الظاهرية.

سجالات لنماذج مفترضة

وفيما يلي سجالات لحالات مفترضة كنماذج واقعية في مجتمعاتنا وقد توجد حالات أخرى غير مذكورة هنا إلا أن الغاية هي معرفة كيف يفكر كل طرف في الحالات المبحوثة لأنها قد تفيد من يريد خوض هذه التجربة من الرجال للاستدلال على ما يؤول إليه حاله بعدها ويتأنى إذا وجد أنه لا قِبَل له بها والأسلم له أن لا يخوض غمارها.

وكذلك للمرأة التي تكون الزوجة الأولى أو الثانية أو التالية لتعرف كيف يفكر الطرف الآخر الذي سيكون شريكا لها في قلب الرجل الذي ارتضته زوجا لها، فتتأنى قبل أن تتخذ قرارا قد لا يكون صائبا وحكيما أو تاخذ حكما قد لا يكون عادلا ومنصفا.

النموذج الأول: زوجان سعيدان متحابان مضى على زواجهما سنوات لم يولد لهما ولد لأن المرأة عاقر. يريد زوجها أن يتزوج عليها.

رسالة من الزوجة الى زوجها:

كنت وستكون الحبيب الأوحد في حياتي، وكنتُ الزهرة التي لم يشمها ويستنشق عبيرها غيرك، ويوم عرف قلبي الخفقان لم يخفق إلا لك أنت، فكنت الزوج والحبيب.

ومضت الأيام والشهور الأولى من زواجنا كحلم جميل ما أردت أن أصحو منه أبداً وكنت أشكر الله في كل صلاة أن حباني بزوجٍ مثلك كريم الخلق محب وعطوف.

ولما مضت سنوات على زواجنا وأعيتنا الحيل في الحصول على طفل يغدق على حياتنا مزيداً من البهجة والسرور، عندها بدأت رحلتي مع الخوف وشعرت بهم ثقيل يزحف على قلبي فأنا امرأة والمرأة لا يكتمل فرحها ولا تشعر بأنوثتها إلاّ عندما تجد جنيناً يتحرك في أحشائها حتى إذا سمعت صرخته الأولى عند الولادة تحس كأنها سيدة هذا الكون كله.

وكنت تعوضني عن هذا النقص - الذي ارتضاه الله لي - بحبك وحنانك وكنت أجد عندك ملاذاً ألجأ إليه كلما ضاق صدري وعصفت بنفسي رياح الحزن والألم.

واليوم تأتيني لتخبرني أنك تنوي الزواج من امرأة أخرى!!!!

لقد أحدثت زلزالاً رهيباً في كل كياني. زلزالاً في كلّ خليةٍ من خلايا جسدي من قمة الرأس إلى أخمص القدم، أشعر في كلّ خليةٍ ببركانٍ ثائر يريد أن ينفجر، أشعر بالدنيا تدور من حولي وتمرُّ المشاهد والصور أمامي باهتةً دون أن أدرك لونها أو ماهيتها.

لقد أوصلتني بطلبك هذا إلى حافةِ هاويةٍ سحيقة وبدايةِ كابوسٍ لا يمكن أن أستفيق منه.

لقد سدت سبل الفرح دوني مذ سمعت قولك واهتز اعتزازي بجمالي وشبابي وأنوثتي لأنني أدرك أن الآتي لا يكون إلا بؤساً وشقاءاً وعلقماً.

واذ أستقرىء القادم من الأيام لا أجد فيها بصيصَ نور أو بارقة أمل.

إذن ستشاركني فيك امرأة أخرى.

وإذن ستمر الدقائق والساعات والأيام بطيئة قاتلة إلى أن يتحقق ذلك. وسيكون يوم فرحك يوم حزنٍ وكمدٍ عندي، سيكون ألمي ألماً مزدوجاً ألمَ امرأة مجروحة في كبريائها بأن تزوّج عليها زوجها وألم الحرمان من الولد لأنني امرأةٌ عاقر.

لوكان لي طفل كنت ألجأ إليه في ساعات اشتداد المحنة وأغدق عليه كل طاقات الحب والحنان التي أو دعها الله في قلب الأم،

أما وأن أحتضن الفراغ عندما تترك غرفتي أو داري وتذهب إليها فكيف أواسي نفسي المكسورة وقلبي الجريح وكيف أعبر أمواج القلق وعواصف الحزن التي ستكون طويلة لا تنتهي.

سيكون علي أن أستمع إلى الآف التعليقات الساخرة بحقك وبحقي:

أليست له ذرة وفاء فيتقبل ما أراده الله له؟؟

هل بيدك شيء لم تفعليه ؟؟

ترى كيف كان وضعه لوكان هو العقيم؟؟

ماذا يفعل الرجل مع امرأة عاقر؟؟

جميل منه أنه لم يطلقها!!!

وغير ذلك مما يدل على التشفي أو التحريض الممزوج بالشفقة والعطف.

ستحتفل مع الأخرى بيوم زفافك كل عام كما كنت تفعل معي في حين أكون قابعة في زاوية من زوايا غرفتي أجترع الألم وأتوسد الحزن الذي ينبع من أعماقي فاحس به يملأ صدري ويملأ الغرفة بل يملأ الكون الفسيح كله من حولي.

وفي حين تترقب بشغف نبأ حملها الأول لا أكتمك سراً أنني في أعماق قلبي كنت أتمنى أن تكون عقيمة مثلي حتى لا ينهار بنياني كله ويبقى لي بصيصٌ من أمل أنك ستكون لي أكثر مما تكون لها.

ويوم يزف اليك خبرك السعيد أكون دفنت حية في غرفتي الكئيبة.

ستمر الأيام بطيئة علي وعليك!

فأنا يؤرقني حصولك على شيء لم يكن بمقدوري أن أهبك إيّاه.

وأنت تترقب يوم تتلقف بين يديك طفلك الأول.

ستحوم الأخرى حولك... ستأخذك إلى صفها وجوارها.

أليست أم ولدك الأول وربما أولادك الكثر؟؟؟

ستدخل عليها دوماً بفرحٍ غامر لأنك عندها ستضم طفلك أو أطفالك إلى صدرك وستسعد بهم يحومون ويلعبون من حولك.

ولكن عندما تأتيني لن تجد إلا الكآبة والحزن ومهما تظاهرت أمامك بالسعادة فلن أقدر على إخفاء جبل الهم الذي يرزح تحته قلبي.

سأصبح امرأة متوترة عصبية المزاج شئت أم أبيت.

ستملّ مني يوماً بعد يوم وقد أصبِحُ كابوساً ثقيلاً على قلبك بعد أن كنتُ حلم حياتك.

لقد خلقني الله هكذا عقيمة.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

إنه قدر الله أن أكون عقيمة.

فهل تريدني كما خلقني الله وترضى بقسمتك ونصيبك؟؟

أم تريد أن تكون لك زوجة أخرى؟؟ فتعطيني شهادة الألم والحزن - الذي سيقتلني ببطء - في اللحظة التي تستلم فيها شهادة زواجك من الأخرى..

رسالة من الزوج الى زوجته:

أنت ستبقين كما أنت الآن تلك الزهرة اليانعة التي خفق لها قلبي واخترتها من بين جموع الفتيات اللائي كنت أعرفهن أو تم ترشيحهن لي من قبل العائلة وشكرت الله يومها وأشكره في كل حين بأن جعل امرأة في مثل تقواك وجمالك وأخلاقك وصفاتك زوجة لي وأعاهد الله ثم أعاهدك أن أبقى كما أنا الآن الزوج المحب العطوف.

ولكن!!

وكما أن الله قد بث في أعماقك غريزة الأمومة ثم حرمت منها فإن في أعماقي أيضاً غريزة الأبوة وبإمكاني التمتع بها.

كنت أتمنى أن تكونين أنت من يمنحني هذا الوسام وأن يكون لي طفل منك أنت.

وتعلمين كم أعيتنا السبل.. لم نترك طبيباً مختصاً لم نطرق بابه.. لم نبخل بأي جهد أو مال وأخذنا بالأسباب كلها وكنا ندعو ويدعو معنا كل محبينا أن يرزقنا الله بطفل نزين به حياتنا.

ولكنها مشيئة الله. لن يكون لي طفل منك.

الأولاد كما تعلمين هم من أركان اكتمال بناء الأسرة.. وأنا وأنت أعمدة هذه الأسرة فلماذا لا ينضم إلينا من يكون سبباً في اكتمال بناء أسرتنا ونجد أطفالاً صغاراً يلعبون ويمرحون من حولنا نغدق عليهم حبنا وعطفنا ونشملهم برعايتنا وتربيتنا ونراهم يكبرون أمام أعيننا، يحتلون مراكزهم في الحياة ويكونون مصدر فخرٍ بأخلاقهم وهممهم العالية وعلمهم وتقواهم إن شاء الله.

أترين لوخيرتك أن نتبنى طفلاً غريباً هل كنت ترفضين؟؟؟

إن أطفالي سيكونون بمثابة أطفالك أنت أيضاً وأنا أعرف قلبكِ كم هو كبيرٌ وحنون ويمكن أن يسعهم وتكونين لهم الأم المثالية إلى جوار أمهم.

أليس من الغرابة أن ألجأ إلى التبني وأن أترك فسحة المشروعية التي وفرها الله لي؟؟؟

أنا أقدر هواجسك.

ولكن مع رجل يخشى الله أولاً ويحبكِ كل هذا الحب حري بك أن لا تخافي ولا تجزعي.

أريدك أن تكوني لي - كما أنت الآن - السند القوي والصدر الحنون والبيت الدافئ الذي ألجأ إليه كلما داهمتني كروب الدهر ومصاعب الحياة.

اطردي من رأسك الجميل كل تلك الهواجس وضعي ثقتك بالله وتمسكي بحبله المتين وسترينني إلى جوارك دائماً زوجاً محباً عطوفاً وعادلاً بحولِ الله وقوته.

النموذج الثاني: زوجان متحابان لا تشوب حياتهما شائبة سعيدان مع

أطفالهما . . يأتي الزوج بعد رحلة عمر طويلة فيخبر زوجته أنه قد تزوج عليها.

رسالة من الزوجة الى زوجها:

كنت أحس أن القمر لا يبزغ إلا من جبينك وأن الشمس لا تشرق إلا من مبسمك.

كنت سيد أحلامي وحبيب عمري كله.

سخرت حياتي كلها لك أنت وكنت أعيش في ظلك.

كنت رهن اشارتك وطوع بنانك في الأمور كلها.

لم أستعمل قط يوما أسلحة النساء ومكرهن معك.

كنت نقية كما الثلج في سلوكي وصادقة في كل قول أو فعل معك.

كنت سيد قلبي وبيتي.

كانت أوامرك مطاعة وطلباتك مستجابة.

عشت معك أيام عمري بحلوها ومرها، ولا أنكر أن جلّها كانت حلوة وسعيدة.

لم أشغل كاهلك يوما بطلبات كبيرة أو صغيرة وكنت راضية بما تجود به يداك وكنت كريماً معي.

تركتك على سجيتك. . تخرج أينما تشاء وحينما تشاء ولم تسمع مني يوماً كلمة جارحة أو نابية بسبب خروجك غير المعلن أو تأخرك غير المبرر وكما تفعل كل النساء مع أزواجهن. . كلما كنت تجده مني هي اللهفة على رؤيتك والقلق عند تأخرك.

كافحت معك في بناء أسرتنا الصغيرة لبنة لبنة.

لم أشكو يوماً ولو للحظة عن عدم قدرتي لتلبية احتياجاتك واحتياجات البيت والأولاد.

حفظت مالك وعرضك في غيابك.

والآن تأتيني في غفلة من الزمن لتنبأني عن زواجك بأخرى.

كيف بحق السماء؟؟؟

هل من المعقول أنك قد فعلت؟؟

ألم تكن لك يقظة من الضمير تؤنبك.

هل تجازيني بهذا بعد كل ما فعلته لأجلك.؟؟

بعد أن أفنيت شبابي معك وفي خدمتك.

ولماذا ؟؟

هل وجدت أي قصورٍ في؟؟

ألم أكن لك الزوجة والصديقة؟؟

أين حبك واخلاصك؟؟

آلاف الأسئلة يضجّ بها رأسي ولا أجد لأحدها جواباً شافياً أو مقنعاً.

كيف تجرأت على ذلك بالله عليك؟؟

أحس بأن انفجاراً هائلاً حصل في رأسي وتناثرت أجزاؤه إلى ملايين الذرات ولا أقدر على لملمتها من جديد.

ألم يكن لك لسان تنطق به؟؟

ألم يكن بمقدورك أن تلمح لي أو تسأل عن رأيي؟؟

لا.. لا.. لست من يفعل هذا!!

أن قلبك لن يطاوعك.. قل لي بربك أنك تمزح.

لوكنت أطلقت علي النار.. لوكنت نسفتني بأطنان من الديناميت، أما أن تستغل سماحتي وسذاجتي وتستغفلني ثم تأتيني لتنبأني بهذا النبأ العظيم فهذا ظلم ما بعده ظلم، ظلم لا يقبله المنطق وتعزف عن إتيانه النفس البشرية ولا يرضى به الله.

هل يقبل الله الظلم لعباده؟؟؟

حاشا لله أن يفعل.

ولكنكم معشر الرجال قلوبكم قد قدت من صخر. وأنتم أنانيون وليست لكم تضحية النساء.

ماذا يريد الرجل منكم حتى يكون وفياً مخلصاً ومكتفياً؟؟

أتريدون امرأة متسلطة متحكمة تعدّ عليكم أنفاسكم وتكونون لها التابع الذي ينفذ أوامرها وهو صاغر؟؟

أم تريدون المرأة التي تثقل كاهلكم بمشاكلها ومشاكل الأولاد وترمي بكل الثقل عليكم وتتفرغ هي لاستقبال الأهل والصديقات؟؟ أو تكون خارج الدار جلّ وقتها عينها وعقلها وارتباطها بخارجِ الدار أكثر من داخله؟؟

لا أحد يفهمكم معشر الرجال، حتى أنتم لا تفهمون أنفسكم!!

هل هذه هي مكافأتي ؟؟

لقد انطفأت الشموع التي كنت أوقدتها في مواسم وأيام فرحي شمعة شمعة.

وبهتت الذكريات المخزونة في ذاكرتي والتي كانت روافد من نور تمد نهر حياتي بالبهجة والسرور.

بفعلتك هذه تكون كأنك صلبتني على أبواب المدينة يمر علي القادم والمغادر فلا أجد إلا نظرة شماتة أو لفتة إشفاق.

ماذا ستجني من زواجك هذا؟؟

هل تريد أن تثبت رجولتك وأن يقال فعلها والله فلان؟؟

أم تريد أن تفتح على نفسك أبواب الطوفان؟؟

سيلومك الناس وينفرط عقد محبيك من حولك.

ستجد نفسك منبوذاً في مجتمعٍ لا يرحم.

وفي الوقت الذي يرتفع شأني بين الناس، سيصغر حجمك ويقل شأنك.

أنت الذي كان ينظر إليك كعملاقٍ مهيب ترنو إليه الجباه وجبهتك تلامس السحب في السماء.

سيراك الناس قد تقزمت حتى أصبحت جبهتك بمستوى جباههم أو أدنى.

ترى هل فكرت في كل ذلك؟؟

وهل يستحق الأمر كل هذه التضحيات؟؟

لا أظن ذلك البتة.

رسالة من الزوج الى زوجته:

ما هكذا تقاس الأمور يا أمة الله.. ولا بهذا المنظار الذي لا يرى منه إلا السواد ينظر إلى الأشياء.

كل ما ذكرته في حق نفسك هو عين الحقيقة وكبد الصواب.

بل هوأقل مما أنت عليه.

فأنت مثال للزوجة التقية النقية المحبة لزوجها وأطفالها وبيتها والمضحية دوماً من أجلهم.

لا أحد بمقدوره أن ينكر عليك ذلك.. ومن يفعل يكون مجحفاً وظالماً.

وإذا كان من أحد يقدر خصالك الحميدة وشمائلك الحسنة فهو أنا، ولست بالرجل الذي ينكر عليك ذلك لكي أبرر الفعل الذي أقدمت عليه.

فأنت صاحبة الفضل والإحسان دوماً يشهد لك القاصي والداني، فكيف لا أفعل أنا وقد أفضى بعضنا إلى بعض وخبر خفايا ولطائف ومكنونات نفس الطرف الاخر وأخذ منه ميثاقاً غليظاً.

وما حصل لا يقلل من منزلتك في نفسي بل يعظم شأنها ويعلو بها في نظري، في صورة أكثر تجلياً وأبهى رونقاً وإشراقاً.

والأمر لا يتعلق بنقيصة أو مثلمة في ظاهرك أو جوهرك دعتني إلى البحث عن إكمالها عند غيرك.

لم يكن الأمر هكذا أبداً.

ولكنها النفس البشرية خلقها الله محبة للنعم والاستزادة منها. والزوجة

الصالحة نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى.

ونفس الرجل تهفو إلى التعدد دوماً وقد أعطاه الله فسحة من المشروعية لتحقيق ذلك.

وقلب الرجل ليس كقلب المرأة، فالمرأة في الغالب الأعم تمنح قلبها وعاطفتها ووجدانها إلى رجل واحد.

وقد يفعل الرجل ذلك أيضاً ويمسك على زوجة واحدة.

ومنهم من يريد المزيد فيمشي إلى المعصية ويبحث عنها وليس في الحرام متعة دائمة البتة ليس فيه إلا شقاء ومرض وانتقاص للشخصية في الدنيا وعذاب وسعير في الآخرة.

ومنهم من يسلك طريق التعدد - ولكن ليس من أجل إطفاء شهوة عابرة أو مشياً وراء نزوة متقدة سرعان ما يخبو إوارها - فإذا عدد كان عادلًا يخاف الله ويخشى أن ياتي يوم القيامة وشقه أعوج فبامكانه أن يعطي حبه وعواطفه إلى أكثر من واحدة بالقدر الذي لا يخرج عن إطار العدل الذي أراده الله كاملاً في حدوده المادية ومنصفاً في حدوده العاطفية والحسية.

لقد جبلتني لردح من الزمن فما أنا بطارد الذين حوتهمْ خيمتي من خاصتي وأهل بيتي.

وما أنا بجاحد أو ناكر جميل والحمد والشكر والثناء لله على ذلك.

فهوني عليك الأمر ولا تجزعي كل هذا الجزع.

والرجل منا تأريخ ومواقف فمن أكرمه الله فكان على خلق طيبة وخصال حسنة وله مواقف ومشاهد حميدة، لا يمكن أن تمحو الأيام وبسرعة البرق تلك المواقف والخصال لتصبح كهشيم المحتضر، ويغدو هو بين ليلة وضحاها رجلاً أجرد من الأخلاق والخصال التي تربى عليها وعرف بها بين أهله وأقرانه، فيكون ظالماً بعد أن كان السماح شيمته ويصبح جاحداً وناكراً للجميل بعد أن كان الحلم والإناة سجيته.

لا يمكن أن تمتد يد الهدم والتخريب إلى البنيان الذي بنيناه معاً طوال سني

عمرنا. سيبقى بناءاً شامخاً مهيباً دافئاً بساكنيه.. فبناءنا لم يكن قبة من زجاج تتهشم ويتناثر حطامها عند قذفها بأول حجر.

إنه بناء صلد متين أوتاده الحب الكبير الذي ضمنا معاً، وجدرانه المودة والرحمة التي جعلها الله بيننا، ونوافذه التي تدخل الضياء إلى أرجاءه هي ذكرياتنا وقواسم فرحنا، ونوره وقناديله هم أطفالنا، وسقفه موصول إلى السماء ذكراً ودعاءاً من الله أن يحفظ هذا البنيان ويديم على أركانه وساكنيه نعمة الايمان وحب الله ورسوله.

والبنيان الجديد لا يمكن أن يشوه البنيان الأساس. سيكون بناءاً ملحقاً بالبناء الأول موصولاً به بالمحبة والتعاطف لا بالحقد والتباغض.

ستقولين أنه كلام ساذج ليس له في الواقع من نصيب.

نعم سيكون ساذجاً اذا قبلنا أن يرمي كل غادٍ ورائح حجارة علينا وإذا كانت آذاننا تصغي لكل واردة وشاردة تأتينا من أناس لا يرحمون ولا يريدون لخلق الله أن يعيشوا في أمان.

من يتضرر أساساً لو انفرطت حجارة بيتنا ؟؟

ستسقط أول ما تسقط على رؤوسنا أنا وأنت والأولاد.

ستقولين أنتَ تسببت في الهدم.. أنتَ هدمت دارك بيديك فأكرر القول لك إنه ليس بهدم إنه بناء جديد يلحق بالبناء الأول الأساس.

وما ترينه هدماً إن هو إلا إسقاطات المجتمع وغيرة الأنثى على موضوع التعدد ليس إلا.

هوني عليك الأمر بربك.. وأمسكي عليك زوجك وأولادك وتمسكي ببيتك وحياتك واحتسبي أجرك عند الله واصبري على ما أصاب غرورك الأنثوي من ثلمات وستجدينني إلى جوارك دوماً زوجاً محباً وأباً رحيماً وعطوفاً إن شاء الله.

النموذج الثالث: زوجان ليست بينهما قواسم مشتركة ولا يربطهما بالبيت وبالأولاد رابط قوي. قرر الزوج أخيراً أن يتزوج على زوجته وبدون علمها.

رسالة من الزوجة الى زوجها:

فعلتها إذاً أيها الصعلوك!!

تجرأت وتزوجت علي بدون علمي!!

أمعي تفعل هذا؟؟

أنت لا تعرف أية صخرة تنطح أيها المسكين البائس.

سأعلنها عليك حرباً شعواء.

سيأتيك طوفان غضبي حيثما كنت.

لن أبقى معك تحت سقف واحد ولو لليلة أخرى.

سأجبرك على الطلاق وسأترك لك أولادك فلا أريد أن يذكرني شيء بعفونتك.

كنت أغض الطرف عن مجونك وأقول فترة طيش ويمل، يعود إلي بعدها نادماً وصاغراً.

كنت أعرف حركاتك وسكناتك وكل علاقاتك المشبوهة وكنت أقول لن يتجرأ على الاقتران بغيري وكيف يفعل وأنا الذي صنعته.

ألا تعرف أنك لاشيء ولا قيمة لك البتة؟؟

ألا تعرف صغر حجمك وهوانك على الناس؟؟

كان علي أن ألجمك في اليوم الأول فمثلك لم يخلق إلا أن يعيش ذليلاً وتابعاً.

لقد اقترفت إثماً بحق نفسي يوم قبلت بصعلوك مثلك أن يكون زوجي وسيد بيتي. فهذا ما جنته يداي بعدما تنازلت عن الكثير من أجلك.

من أنت ومن أنا؟؟ ألم تفكر كم أحرقت من المسافات حتى أصل إلى مستواك ثم انتشلتك من بيئتك وعفونتك وأسكنتك في الأعالي حيث كنت ترنو فحسب ولم تكن تحلم حتى بالوصول إلى ما أوصلتك إليه أنا.

سأحاربك بكل الأسلحة المتاحة لي وهي أسلحة مدمرة لن تقوى على الوقوف بوجهها وستندم كثيراً وكثيراً ولكن لن ينفعك ندمك ولن يشفع لك استذلالك وخضوعك فقد سقطت وتمرغت في الأوحال وسأبقيك حيث أنت.

سأجعلك تختبر انتقام اللبوة الجريحة أيها الثعلب الأجرب المخادع.

وسأجعلك مثالاً سيئاً لكل أفاقٍ لئيم من الرجال يفكر أن يحذو حذوك.

رسالة من الزوج الى زوجته:

ها أنت تثبتين مجدداً كم أنت امرأة حمقاء وخرقاء وسليطة اللسان.

كنت أقول في نفسي لن أهدر كرامتها ولن ألجا إلى الطلاق فأتركها في ذهولها بين صدمتين.. صدمة زواجي عليها وصدمة الطلاق.

كنت أحاول أن أكون وفياً لبعض جوانب العشرة بيننا وكنت أريدك إلى جوار أولادك فلم أشأ أن أحرمك منهم.

ولكنك أبيت إلا أن تكوني كما أنت دوماً.. امرأة حمقاء متعجرفة مملة وسيئة المعشر.

أنت امرأة لا تعرفين من أمور الزواج إلا فراش الزوجية وحتى في ذلك أنت مقرفة.

الزوجة الصالحة سكن ومودة ورحمة وأنت عذاب ونقمة.

الزوجة الصالحة أم رؤوف عطوف، وأنت حرام أن تسمين بهذا الإسم المبارك وها أنت تتخلين عن أولادك بملء رغبتك ودون أن تهتز لك شعرة أو يخفق لك وجدان.

كنت أهرب من البيت.. من عجرفتك وسطوتك وسوء خلقك علّني أحظى بفسحة من الراحة خارجه.

أنت من دفعتني إلى مواطن السوء بعد أن سدت دوني كل منافذ الهدوء والسكينة إلى جوارك.

حتى شعرت أنني بدأت أغرق ولا بد من لملمة نفسي قبل أن أغوص في

أعماق الرذيلة فأخسر نفسي وأولادي.

لم أشعر يوماً أن لي بيتاً دافئاً أعود إليه وزوجة صالحة تستقبلني بالحنان على عتبته.

حتى أطفالي لم أتمكن أن أمنحهم عاطفة الأبوة الحقة بسبب ضجيجك المستمر الذي يصم الآذان.

ها أنت جنيت على نفسك.

عودي من حيث أتيت. إلى بيت أبيك.. فلن تجدي هناك السكينة الأولى يوم كنت طفلتهم المدللة.

لن تجدي الراحة عند صديقاتك اللائي فضلتهن على زوجك وأولادك.

ستعيشين على هامش الحياة وليس في داخلها.. وتكونين ظلاً ثقيلا على كل الناس من حولك.

ستكون كل أيامك كئيبة رتيبة بدون زوج يحنوعليك أو أولاد يحومون من حولك ويشعرونك بدفئ الأمومة وقداستها التي ما أكرمتها أو أعطيتها حقها يوماً في حياتك.

لن تجدي ترحيبا بك في أي مكان تقصدينه وسيشار إليك:

هذه هي المرأة التي تركت زوجها وتنكرت لأطفالها!! أية امرأة هذه أليس بين جنبيها قلب ينبض أو في رأسها عقل يفكر؟؟

مَن مِنَ الرجال بعدها يرضاك زوجة له؟؟؟

المثال الرابع: زوجة سعيدة في حياتها لا ينقصها شيء وباغتها زوجها بالزواج عليها.. والزوجة الثانية كانت تعلم أن الرجل الذي تقدم لها له زوجة وأطفال.

رسالة من الزوجة الأولى الى الزوجة الثانية :

أية ريح سوداء قذفتك في طريقي؟؟

ألم تجدي في كل رجال الأرض من تحومين حوله وترمين عليه بشباكك

وتميلين قلبه بسحرك ومكرك غير زوجي؟؟

ألم تجدي في كل نساء الدنيا هدفاً تحطمينه بخيلك وجندك إلا حياتي؟؟

كيف تقبلين أن تمتد يدك الغادرة إلى بيتي لتعيثي فيه فساداً ودماراً؟؟

هل بإمكانك أن تبني سعادتك على أنقاض سعادتي؟؟

كم من القلوب تدمرين وتشقين لتكسبي نصف زوج؟؟

أما كان الأجدر بك أن تصبري على ما أنت فيه إلى أن يقيض الله لك أمراً فتجدين إلى جوارك زوجاً كاملاً لا تشاركك فيه أخرى؟؟

أو ترضين بنصيبك من الدنيا وتحتسبين أجرك عند الله كما تفعل آلاف بل ملايين النساء ممن لم يحظين بالزواج أو فقدن أزواجهن لسبب أو لآخر؟؟

كيف تدخلين وسط دائرة في كل محيطها سهام موجهة إلى صدرك؟؟

كيف تدخلين إلى محيط ليس بمحيطك وبيئة ستلفظك ولا تريدك ومجتمع لن يرحمك؟؟

كيف تواجهين كل ذلك؟؟

أنت تسرقين مني أغلى ما أملك.

لا تسرقين زوجي فحسب بل تسرقين حياتي كلها.. تسرقين سعادتي وأحلامي وذكرياتي وتتركينني إنسانة محطمة مجردة من كل شيء.

فهل هذا يشبع غرورك؟؟

لا تظني أنك ستمنحين زوجي السعادة التي لم يجدها عندي أو الراحة التي افتقدها في بيتي.

حتى هذه اللحظة لا أصدق كيف فعل ذلك لا بد أنه مكرك وكيدك الذي أوقعه في حبائلك ففعل ما فعل.

ألا تخشين أن يَملّك بعد حين؟؟ ويتركك صريعة هواجسك وأحلامك التي لم تكتمل؟؟

ألا تخشين أن يكون ضغط المجتمع من حوله عظيماً قوياً فيجد نفسه بين

أمرين أحلاهما مر؟؟. أما أن يتركك فيقع تحت لوم ضميره أو يحتفظ بك فيفقد أعز من حوله.

هل ما زالت في أعماقك بقية من ضمير فتنسحبي من حياتي بهدوء كما دخلته خلسة؟؟

أم أنك قررت أن تحطمي حياتي وحياتك فأعيش أنا خارج أسوار الحياة وتعيشين أنت بين ألم الضمير واحتقار الناس لك وضغط المجتمع عليك.

رسالة من الزوجة الثانية الى الزوجة الأولى:

يا أخيتاه..

الرب الذي خلقك وبث فيك حب الرجل وعاطفة الأمومة هو نفس الرب الذي بث مثلها في أعماقي.

فربنا واحد وخلقنا على نفس الفطرة.

وإذا كان الله قد أكرمك فأعطاك زوجاً يحنُّ عليك ووهبك أولاداً يحومون حولك وأسرة دافئة محبة فذاك من عطاء ونعم الله على عباده تستوجب الشكر والحمد وأظنك تفعلين ذلك.

وأنا لا أسرق زوجك وأحطم حياتك وان فعلت أكون ظالمة وجاحدة.

إن الواحدة منا لا تجد نفسها ولا تكتمل سعادتها إلا في كنف زوج صالح يمنحها الحنان والشعور بالاطمئنان واطفال لها تضمهم إلى صدرها وعندها فقط تشعر أنها اكتملت كأنثى.

هذه سنة الله في الأرض.

فالرغبة في الزوج هي رغبة فطرية لا تلوم المرأة عليها ولكن إشباع هذه الرغبة في غير ما أقره الله - وهو الزواج - لا يصح لنا نحن المسلمات.. بل لا تصح لأية امرأة، وما نراه اليوم في الغرب من أن معظم حالات العلاقة بين الرجل والمراة تتم خارج إطار الزوجية هو ضد الناموس الذي أراده الله للبشر وهو هدم للأسرة وللمجتمع والقيم الأخلاقية وانهيار للأمم ولو بعد حين.

لماذا ينقض علينا المجتمع فاغراً فاه يريد أن يبتلعنا؟؟

لماذا ينظر إلينا كسقطِ المتاع؟؟ وليس كنساء أردنَ تعففاً فقبلنَ أن تكن زوجات بنصف زوج أو ثلثه أو ربعه؟؟

والواحدة منا تريد كما تريد كل النساء المسلمات أن تعف نفسها وتعاشر زوجاً في الحلال المطلق على أمل أن تكون لها أسرة صغيرة وأطفال يحنون عليها في القادم من الأيام عندما يغادرها الأبوان ويتنكر لها أو يعزب عنها الأخوان.

إن من تكون هذه غايتها ومبتغاها فهي ليست بلصَّة فمن تتقي الله وتخشاه في عفتها تخافه في سلوكها العام أيضاً.

ليس من المنطق أن أطلب من الرجل الذي منحني هذه الفرصة لتكون لي أسرة صغيرة كنت أتوق اليها أن يتركك أنت وأولادك. والرجل الذي يرضخ لهكذا مطلب فإنه رجل تنقصه المروءة والرجولة ولديه خلل في إيمانه وبالتالي لا يصلح أن يكون زوجا لك أولي أو لأية امرأة أخرى.

هوني عليك يا أخيتاه.

مهما بدى الأمر صعباً وقاسياً في البداية سيهون الله عليك.

وما دام الله قد جمع بيننا في زوج واحد فالأولى أن ندع أنانية الاستفراد بالتملك جانباً فنحن نتشارك في كائن بشري وليس في سلعة.

ولهذا الكائن علي وعليك حقوق فلندع الضغينة القاتلة جانباً فنحن أخوات في دين الله ولنحاول أن نلجم غيرة الانثى في بواطننا إلى الحد الذي لا يهدم أحداً منا أو يهدم الرجل الذي نحبه.

النموذج الخامس: رجل متسلط تزوج على زوجته الأولى والزوجة الثانية تحرضه عليها.

رسالة من الزوجة الأولى الى الزوجة الثانية:

ها أنتِ اقتحمت علي حياتي شئت أم ابيت.

بعد رحلة عمر قاسية في كنف زوج أناني متسلط كنت أتطلع إلى حياة هادئة بعد أن كبر أولادي وصاروا يملأون علي حياتي.

منيت نفسي بالهدوء والسكينة وراحة البال ولكن زوجي أبى إلا أن يكافأني بالزواج علي.

تقبلت الأمر على مضض ورضيت بما قسمه لي ربي فلم أقم الدنيا وأقعدها.. وماذا عساي أن أفعل؟؟

هل أحرض أولاده عليه فأتسبب في قطيعة رحم بينهم وبين أبيهم وأكون عوناً في عقوقهم لوالدهم؟؟

هل أحرض أهلي وأهله والمقربون إلينا عليه فتكون جفوة وجفاء وبرود بيني وبينه بغض النظر عن القرار الذي سيتخذه.

كنتِ تعلمين أن له بيتاً وزوجة وأولاداً وقبلت به هكذا فلا تحرضيه علي وعلى أولادي.

اتقي الله فينا يا أمة الله ولا تزيدي من وجعي وألمي.

واعلمي أنك تكسبين إثماً في حق نفسك ويكسب هو إثماً أكبر لو فرط في حقوقنا.

إن كنت تحبينه كما تدّعين فالحب لا يأتي من خلال كراهية الآخرين. الحب لا ينمو إلا في بيئة صحية.

واعلمي إن كان اختارك لجمالك وشبابك فالجمال والشباب لا يدومان لأحد ولن يبقى لك رصيد عنده وعند الناس إلا حسن المعاشرة وكريم الخصال وجميل المواقف ويكون لك بعدها مرضاة الله إن شاء الله.

لقد رأيت كيف كان موقفي وموقف أولادي موقفاً مسالماً. لم نمنعه من الزواج بك لم نحرض عليه أو عليك أحداً من خلق الله.

أنت التي اقتحمت علينا هدوء حياتنا وعرضتنا لعاصفة هوجاء من الهواجس والأفكار وإلى اللاذع والشامت من كلام الناس.

وطمعاً في مرضاة الله وخوفاً من تجريح زوجي وخدش كبرياءه كنا ندعوا الله أن يمنحنا الصبر والثبات عليه حتى نجتاز هذا الامتحان العسير.

والحمد لله على نعمته فقد أكرمنا بالصبر واستقرار النفس وهدوء البال.

فالأولى بك أن تقابلي الإحسان بالإحسان وليس بالجحود والإنكار.

لقد قبلت أن تكوني الزوجة الثانية وهذا يؤكد حقيقة أن هناك زوجة أولى وهناك أولاد لهم حقوق في هذا الرجل قبلك وحقوقهم عليه أقرها شرع الله وليس منةً منه ومن يعطل شرع الله أو يساهم في تعطيله يكسب إثماً مبيناً.

واعلمي أن الرجل إذا تنكر لزوجته وللعشرة التي بينهما وضحى بأولاده من أجل امرأة أخرى فإنما يكون في سلوكه خلل جلل يحتاج إلى التقويم وتأكدي أنك ستكونين الضحية التالية له.

فاتقي الله في نفسك ولا توردیها موارد الهلاك والضياع بهذا الفعل الآثم بتحريضه أن يتركني وأن يهمل أولاده ويتركهم على قارعة الطريق.

واتقي الله فينا من ظلم الرجل الذي أحببناه ومن ظلم الأيام إذا فقدناه.

واتقي الله فيه هومن أن يقطع رحمه ويظلم أقرب الناس إليه فيحل عليه سخط الله.

تعالي نهدأ من روع هذا الرجل ونسكن نفسه الثائرة المتمردة بالمعاملة الطيبة والنصح الرشيد ليصلح أن يكون لنا زوجاً ولأولادنا أباً رحيماً.

أليس هذا عين الصواب يا أختياه؟؟؟

النموذج السادس: رجل متزوج أقنع امرأة أخرى بالزواج بعد أن وعدها وعوداً كثيرة ثم تخلى عنها تحت ضغط الزوجة الأولى وضغط المجتمع.

رسالة من الزوجة الثانية الى زوجها:

كنت راضية بما قسمه الله لي إذ مات عني زوجي.. فقد ترك لي ذكريات بالغة في الروعة بالرغم من قصر فترة زواجنا التي لم تدم إلا سنتين وبضعة أشهر.. كان إنساناً رائعاً دمث الخلق كريم الصفات وكان معطاءاً ومحباً للخير.

ولكن الله اختاره إلى جواره ولا راد لقضاء الله فينا وفي كل مخلوقاته، وعلينا التسليم والقبول والصبر على المصيبة.

مضت الأيام والشهور الأولى صعبة وقاسية ولكن الله أكرمني بأن قذف في

قلبي من الطمأنينة والسكينة والصبر ما أعانني على تحمّل ألم الفراق.

وكان لا بد أن أتكيف مع وضعي الجديد وأبقى في طاعة الله وأحتسب أجري عنده سبحانه وتعالى.

لم أكن أفكر في الزواج ثانية رغم إلحاح أهلي وكل من حولي بأنني لا زلت صغيرة وليس لدي أطفال أتفرغ لهم وأن المستقبل ما زال أمامي.

كنت أخشى من خوض تجربة ثانية.. وفي الحقيقة كنت أخشى أن لا أجد الشخص الذي يملأ قلبي أو أدخل في مقارنة بين الرجلين فلا أجد في الثاني ما فقدته بموت الأول.

حتى برزت أنت في حياتي.

ورغم امتناعي في البداية إلا أنه بين إصرارك المستميت وبين ضغط الأهل وافقت على الاقتران بك.

كنت تؤكد لي أنني سأكون حبك الأول والأخير وأن زواجك الأول كان خطأً قاتلاً ارتكبته في حياتك وأنه بالرغم من وجود أطفال بينك وبين زوجتك فإنكما الآن شبه منفصلان وأنكما متفقان على هذا الوضع.

وأذكر أنني أوضحت لك وقتها بأن حياتك السابقة هي ملكك أنت ولا أريد أن أجردك من زوجتك وأولادك حتى ان فعلت ذلك لأجلي لأنني انظر إلى تلك الفعلة كأمر شنيع أمقته ولا أقره.. وقلت لك حينها أمسك عليك زوجتك وأولادك ولا أريد منك إلا ما ارتضاه الشرع الرباني لي من حقوق.

وأذكر ايضاً أنك ادعيت وقتها بأن زوجتك غير معنية بأمر زواجك مني بحكم الوضع الذي أنتما فيه وأن أولادك راضون وليس بينهم من معترض.

أين أنت من تلك الأقوال والوعود الآن؟؟

فما أن مضت الأيام الأولى من زواجنا وأنا ما زلت في نشوة العرس وأحاول أن أتعود عليك وأتلمس خطاي لمستقبل آمن معك وأحلم بالطفل الأول ينمو في أحشائي وتتلقفه يداي عند الولادة لكي أضمه إلى صدري.

حتى شعرت أن أبواب الجحيم قد انفتحت علي.

جاءني أولادك في داري ليسمعوني ألذع الكلام وأقبح الشتائم ويكسروا ما تصل إليه أيديهم من حاجيات البيت قبل أن يتركوني في ذهولٍ مطبق. وعندما أخبرتك بهذه الفعلة الشنيعة التي جرت لي من أولادك. أصبحت تهون علي الأمر وتعدني بأن لا يتكرر ذلك وأنك ستعالج الموقف بحزم.

ولكن مرت الأيام وهذا الهجوم مستمر بل يشتد ويأخذ ابعاداً جديدة أما عبر الهاتف من زوجتك التي تتفنن في كلمات السوء التي تنعتني بها، أو من ممارسات أولادك على عتبة داري بعد أن أغلق الباب دونهم. حتى صرت أتردد في الرد على الهاتف ويجفل قلبي عند كل رنة لجرس الباب..كل هذا وأنت توعدني بأنك ستضع حداً لهذه التصرفات الماجنة.

ولكن رجلك بدأت تخف عن البيت.

وانقلب مزاجك من رجل هادئ وقور كما عهدتك إلى شخص متوتر سيئ المزاج والتصرفات.

أسألك ما الذي يجري لنا ونحن لم نزل في بداية المشوار؟؟ هلا ذكرت لي بربك ما الذي يحدث من حولي أو يحاك ضدي؟؟ لم أكن اسمع منك إلا همهمة وكلمات مبعثرة لا روح فيها ولا معنى.

حتى عندما استعنت بأهلي لمعرفة ما يحدث اخبرتهم أنت أن الموضوع تحت السيطرة وأن الأولاد سيتعودون على الأمر وأنك لن تخذلني.

وها أنك اليوم تأتي لتخبرني أن المشكلة بدأت تاخذ أبعاداً خطيرة وإنك لم تكن تتوقع هذا الموقف المتشدد من أولادك وزوجتك وأنك بدأت تخسرهم وأنك ستضحي من أجلهم بحبك لي.

كنت في بيتك وبين أولادك وستبقى كذلك فأين هي التضحية؟؟

بلى أن التضحية لا تتم إلا بقربان.. والقربان الذي ستذبحه هو أنا.. أليس كذلك؟؟

إنك جعلتني أنا ضحية لنزواتك وسوء تقديرك.

إنك وقرناءك من الرجال لا تنظرون إلى المرأة نظرة إنسانية خالصة ككيان

بشري ذو أحاسيس وعواطف يجب أن تراعى.

ما المرأة عندكم إلا كمتاع ينتفع به متى وكيف ما أردتم ويترك متى شئتم. دون أن يرف لكم جفن أو يتحرك عندكم ضمير.

تتقدمون بكل ضراوة وقوة وتحطمون كل الحواجز التي تقف دون وصولكم إلى مبتغاكم من امرأة ما.. تفرشون لها الرمل ورداً ورياحين.. توهمونها بحبكم الكبير وأنها غدت سيدة قلبكم وبدونها لا يمكن لحياتكم أن تستقيم أو يكون لها طعم. حتى إذا صدقت المسكينة وانخدعت بكلامكم المعسول ودانت لكم تطمع أن يكون لها زوج وأولاد وأسرة مستقرة كما لمعظم الزوجات. تركتموها في ذهولها واندهاشها وهي ترى الأسد الهصور والفارس الجسور الذي افتتنت به صار ثعلباً ماكراً وانساناً قميئاً عند أول منعطف أو عند أول معترك حقيقي لاختبار صدق نواياكم وإخلاصكم وتمسككم بها كزوجة إلى جواركم.

وإذا لامكم لائم عن سوء فعلتكم أو قبح مسلككم وجرمكم قلتم لم نفعل ما يستوجب غضب الرب.. أليس الطلاق شرعة شرعها الله لعباده؟؟

كيف يكون لك ولأمثالك أن تفهموا معنى الحياة؟؟ فأنانيتكم الغارقة في العتمة قد أغرقتكم من قمة رؤوسكم الى أخمص أقدامكم.

الاستمتاع بمباهج الحياة والاستمتاع بالنساء يسد دونكم كل سبل الحكمة والرشاد. وفي هكذا لحظات لا تفكرون أن لكم زوجات وأولاد ومسؤوليات حتى اذا أغريتم امرأة مسكينة مكسورة الجناح بالمعسول من الكلام أن تقبل أن تكون الزوجة الثانية ومتى ما أطفأتم جذوة شهوتكم عدتم إلى رشدكم وكأن الزواج لعبة تلعبونها وقتما تشاؤون وتنهونها متى ما وجدتم أن هذه اللعبة لم تعد تستهويكم أو حصلت في لعبتكم هذه بعض التداخلات من الجمهور القريب منكم.

أَلِهكذا رغبات ترك الحق سبحانه وتعالى فسحة مشروعية التعدد؟؟

لإطفاء شهوة وقتية مجردة بمعزل عن الحكمة والمسؤولية والقرار الرشيد!!

أم لهدف آخر؟؟

لكي تساهم هذه الفسحة من المشروعية في تثبيت القيم الأخلاقية والسلوكية

للمجتمع ولكي يكون هذا الزواج كأي زواج شرعي صحيح حضنا وسكنا وعونا للنساء ممن لم يلحقن بقطار الزواج في محطاته الأولى أو لمن مات عنها زوجها أو للمرأة التي كانت في كنف زوج وساءت بينهما العشرة حتى وصلت لطريق مسدود فتطلقت... ولليتامى من الأولاد.

أنتم تسيؤون الى أنفسكم وتسيؤون إلى كل الرجال. والشرع من أفعالكم براء.

لماذا كان المجتمع
الاسلامي الأول يقبل التعدد

ألم تكن المرأة في المجتمع الاسلامي الأول - ككيان أنثوي - هي نفس المرأة في يومنا هذا؟؟

ألم تكن الغيرة تعصف بقلوبهن أيضاً؟؟

ألم تكن في بيت النبوة وبين بعض أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن نماذج لغيرة الأنثى؟

ومع ذلك كان التعدد قائماً والعدل حتى خارج بيت النبوة في بيوت الصحابة والتابعين هوالمبتغى.

بلا . .

ولكن المنهج الإسلامي يؤسس لكل المجتمع وليس لكل فرد بحد ذاته.

وبناء المجتمع على أسس أخلاقية سليمة ليكون ارتكازاً لنهضة الأمة جمعاء هو أهم وأخطر من الوقوف عند غيرة المرأة المعطلة لهذا الهدف السامي.

هذا في الوقت الذي لا يقبل هذا المنهج بأي ضرر قد يقع بسبب التطبيق غير المنضبط لفعل من الأفعال الثابت مشروعيتها على فرد من أفراد المجتمع.

لذلك كان تركيز الحق سبحانه وتعالى في كتابه المبين على موضوع الطلاق والتعدد أكثر منه على الزواج العادي لأن كلا الفعلين إذا استخدما بعيداً عن الميزان الإلهي فوقوع الضرر والأذى وارد لا محال.

وأيضاً كان المجتمع حينذاك في إطاره العام وفي كل حيثياته وتطبيقاته وفي سلوك أفراده مجتمعاً نظيفاً قائماً بالقسطِ في كل أمور الحياة.

وإذا تركنا التطورات السياسية التي عصفت بالأمة في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم جانباً فإن المجتمع حافظ على بنيانه وترابطه وتراحمه وتآزره وحبه

للخير والدعوة إليه ونبذ المنكر والنهي عنه والسعي الى تغييره قولاً وعملاً.

العدل الاجتماعي في الإسلام قائم على المساواة الكاملة المطلقة بين أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات وما هبت رياح التغيير السلبي على المجتمع المسلم إلا حين تكونت طبقات في المجتمع حسب غناها وفقرها أو قربها وبعدها عن السلطان وحاشيته.

والمجتمع المسلم مجتمع عفة وليس مجتمع تحلّل، لذلك فإنّ عقوبة الزنا تعتبر عقوبة قاسية بل بالغة في القسوة إذا نظرنا إليها بمعزل عن الحاجة إلى مجتمع نظيف عفيف والحؤول دون تفشي الفساد أو مسبباته حتى.

لأن الفساد الأخلاقي الاجتماعي هي بداية انحدار المجتمع بأكمله نحو هاوية الرذيلة والابتذال ومن ثم تساقط بنيانه حجراً بعد حجر حتى ينهدم البنيان بأكمله، لذلك كان العقاب الفردي صارماً لمن يرتكب عملاً يقود أو يساهم في انهيار المجتمع بأكمله.

ويجب أن لا نغفل هنا عن الإشارة إلى أن إقامة حد الزنا بموجب الشرع الإسلامي يستوجب أقصى درجات التحقق والحيطة والحذر حتى لا يستسهل الناس إطلاق التهم جزافاً فتكون العقوبة عندها عقوبة مفرغة من معانيها ومدلولاتها.

والإسلام ينظر نظرة موضوعية إلى حاجات وغرائز الفرد، والرجل والمرأة في هذه النظرة سواء. ومن هذه الحاجات أو السنن الالهية هي علاقة الجذب بين الرجل والمرأة والسر في هذا الانجذاب الغريزي هو لديمومة النسل وخلافة الأرض.

ولكن الإسلام لا يترك هذا الانجذاب يأخذ مداه الحر والمطلق حسب هوى الأفراد - كما هو قائم في المجتمعات الغربية - بل ينظم ذلك بالزواج على أسس تكفل تحقق تلك الحاجات الحسية وتكفل في الوقت نفسه حقوق الرجل والمرأة وحقوق ما يلحق بهما من ذرية..

وتكفل بالنتيجة صيانة المجتمع وكرامة الإنسان فيه.

والنظام الاجتماعي في الإسلام يحث على الزواج ويدعو إلى تسهيله

والترغيب فيه وإبراز عظم الثواب لمن ساهم وعاون على تحقيقه حتى من الآباء.

وهذا النظام يتطلع إلى تحقيق الفرصة لكل رجل وامرأة بالغين لدخول حصن الزواج بحيث لا يبقى خارجه إلا من لم يبلغ الحلم بعد أو طاعن في السن لا يرجو نكاحاً.

وفي عين الوقت ينظر إلى الطلاق كأبغض الحلال وآخر حل يلجأ إليه الزوجان بعد أن يستنفذان هما وأهلوهما كل سبل النصح والإرشاد والتوجيه وبعد أن يستنفذ القضاء الإسلامي دوره في محاولة التقريب وعدم التفريق.

فكل زواج ناجح هو إضافة للبنة جديدة إلى بنيان المجتمع وكل طلاق هوهدم وتشويه لهذا البناء لا يحبذ اللجوء إليه إلا إذا كانت اللبنة هذه غير موضوعة أساساً في مكانها الصحيح.

من أجل هذا كانت المرأة التي يموت عنها زوجها يسعى لتزويجها ولي أمرها أو يسعى للزواج بها ساع للزواج راغباً بذلك تحقيق العفة لنفسه ولها ولكفالة الأيتام إن كان لها ولد.

لذلك قلما كان يوجد في المجتمع رجل أعزب أو امرأة عزباء. وكان معظم الأولاد يربون تحت المظلة الأسرية وما توفره من حضن دافئ لتنشئة الجيل الجديد على ما يرتضيه الله من الحلال وما ينهى عنه من منكر وحرام من القيم والسلوك والصفات.

وليس معنى ذلك أن المجتمع كان مثالياً نقياً وطاهراً لا توجد فيه نماذج سيئة أو لا يصدر عن بعض أفراده سلوك مخالف للشرع، ولكن القياس يكون بالشامل الأعم وليس بالشواذ أو الحالات الفردية.

والمجتمع المسلم يراعي في تشريعه وتقييمه مجمل البناء الاجتماعي وليس تأثر فرد أو مجموعة افراد تأثراً حسياً وعاطفياً.

النظام الإسلامي يلبي طموحات الفرد ويحقق رغباته في ظل طموحات المجتمع ولا يقبل بتذويب مصلحة المجتمع أو التفريط بها مقابل المصلحة الفردية.

فالنفس البشرية لها نوازع ورغبات قد لا تلتقي بل تتقاطع مع مصالح

المجتمع في العديد من الحالات وليس من المنطق أن يرضخ المجتمع لسلوك خاطئ يفر بجمهوره من أجل تحقيق رغبة فردية.

وهكذا فان التعدد في الجتمع الإسلامي الأول كان أحد مقومات تحصين المجتمع إلى جانب كل التشريعات والممارسات التي تلتقي عند هذا الهدف وبغض النظر إن كان في هذا التشريع أو الممارسات ضرر جزئي لفئة من النساء أو ضد فطرتهن كما يرين معظم النساء.

ويجب الانتباه الى نقطة في غاية الأهمية وهو أن الله سبحانه وتعالى عادل في حكمه وليس من المنطق ان يقر الله تشريعا ربانيا يكون ضد الفطرة الانسانية ومخالفا لنواميسها. الا انها النفس الانسانية التي تريد أن تفسر الأمر على أن التعدد هوضد الفطرة التي فطرن عليها النساء وهذا مخالف لمنطق العدل الذي أقره الله للناس سبحانه وتعالى.

وفي الحقيقة ان التعدد وهولا يلبي رغبة امرأة في الاستحواذ بالزوج لوحدها يلبي طموح امرأة اخرى أن يكون لها زوج وأن تكون لها أسرة.

ولأن كل تعدد ينتج عنه مبدأ الشراكة كان ضابط العدل المطلق في حالته المادية والحالة المثالية القصوى في العدل الحسي معيار ضروري لكل حالة تعدد وبعكس ذلك يقع ظلم وجور ولا تتحقق الغاية التي أرادها الله من ترك هذه الفسحة من المشروعية.

الخلاصة

يخطئ من يظن أن التعدد لوحده يقود إلى تحصين المجتمع في الوقت الحاضر.

نعم إنه يساهم في ذلك إذا كانت كل السلوكيات الأخرى والممارسات على كل الأصعدة تأخذ في اعتبارها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل ضمن الضوابط والتشريعات الإسلامية.

أما أن يكون المجتمع مجتمعاً تائهاً وقد فقد أصالته الإسلامية وابتعدَ عن المنهج الرباني فراسخ كثيرة، عقيدةً وفكراً وسلوكاً وأصبح كالجرم التائه في كون مضطرب ينجذب إلى هذا الفكر أو ذاك ويسلك هذه الطريق أو تلك فان التعدد لا يكون في الحقيقة إلا رغبة فردية لا ترتبط بمنهج المجتمع وضوابطه لأن المجتمع غير منضبط وليس له منهج أصلاً.

وكيف يقود التعدد إلى التعفف والتحصين ونحن نرى عزوفاً كبيراً من الشباب عن الزواج ونرى أن حالات الطلاق في بعض مجتمعاتنا تكاد تكون أكثر من حالات الزواج ويكون سبب الطلاق في معظم الحالات واهياً ضعيفاً تغلب عليه المادة والمزاج القاصر والقرار الأخرق غير المنضبط.

قد يكون التعدد هنا تحصيناً للرجل نفسه أو المرأة التي يتزوجها ولكن في غياب الضوابط الاخلاقية الإسلامية لعموم المجتمع فإن التعدد يكون عبئاً ثقيلاً على الرجل قبل أن يكون عبئاً على المرأة.

ففي ظلّ التجاذبات التي ستتعرض لها الزوجة الأولى أو الثانية من محيطهما وأكثرها في الواقع تجاذبات وضغوطات سلبية تحريضية لاتخاذ مواقف متشددة. كأن تحرض الزوجة الأولى على التهديد بطلب الطلاق ما لم يطلق الثانية أو تحريض الثانية على الشيء نفسه ويبقى الرجل متأرجحاً بين موقفين متضادين لا يريدهما كلاهما.

وقد ينجح أو يفشل في التوفيق بين الطرفين وفي حال نجاحه يكون نجاحاً هشاً ظرفياً سرعان ما يتجدد الخلاف ويتفاقم من جديد عند أول منعطف وأقل إثارة. وإذا فشل تكون حياته جحيماً وبؤساً وشقاء.

وقليلة جداً هي الحالات الساكنة والراكدة التي يسودها التعقل ويغلب عليها الوئام والألفة.

هذه الأفكار المتواضعة أضعها بين يدي الباحثين والعلماء والفقهاء وكل رجل يريد أن يلجأ إلى التعدد وكل امرأة تجد نفسها قد وقعت في التجربة مرغمة أو طواعية بأن تكون الأولى أو الثانية.

وأملي أن يكون المعيار الأخلاقي الإسلامي الراقي هوالحكم والفيصل في التعامل لكي لا يجد الرجل نفسه ظالماً وهويريد التحصن أو يبتغي الولد. ولكي لا تتسبب المرأة سواءاً كانت الزوجة الأولى أو الثانية في تدمير نفسها أو زوجها وبيتها.

أريدهم جميعاً أن يتعمقوا فيما أجريناه افتراضاً من سجالات بين الرجل والمرأة أو المرأة والمرأة في الأمثلة التي سبقت.

وأن يتريث كل رجل يطرق هذا الباب بتهور وتتأنى كل امرأة - قبولا أو رفضا - قبل اتخاذ موقف لا يمكن تصحيحه بعد وقوعه أو يكون في الموقف نفسه جور وظلم.

وأحث الباحثين والعلماء والفقهاء من التعمق في هذا الموضوع بحثاً ودراسةً ورأياً سديداً بشكلٍ أكثرَ تفصيلاً ونضجاً ومقاربة للواقع.

والله من وراءِ القصد.

تمت